مجلة كلية العلوم الإسلامية
المجلد السابع العدد (2/14) 1434هـ- 2013م

الدرس اللساني والترجيح في تحديد الشاهد الشعري بين الصنعة والتوثيق عند سيبويه

(*)د. محمد فضل ثلجي الدلابيح

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى إعادة قراءة كتاب سيبويه قراءة معاصرة تجمع بين أصالة التفكير اللغوي العربي كما تمثّل عند سيبويه، وحداثة التفكير اللغوي المعاصر.ويهدف كذلك إلى استجلاء الصورة العلمية الموضوعية التي انطلق منها سيبويه في تأصيل عدد من المفاهيم ومنها: استخدام الترجيح بوصفه منهجاً لغوياً في توثيق الشاهد الشعري فيما يتعلق بالرواية ، وفيما يتعلق بالراوي ، وكذلك بين القواعد النحوية على وفق مبادئ لسانية عرفها سيبويه قبل أن يعرفها العلماء المحدثون في الدرس اللساني المعاصر . وقد عرض البحث لدراسة الأمور الآتية: الترجيح القائم على الخفة وشدة التمكن ، والترجيح القائم على القرب والبعد ، والترجيح القائم على قوة الكلام وصحته ، والترجيح القائم على نسبة الورود في كلام العرب.

(*) مدرس في قسم اللغة العربية،كلية الشريعة،جامعة جرش الأهلية،الأردن.

The tongue lesson and the prefer in mentioning the poetry witness between the made and periodical in Sibawayh

Dr. Mohammad Fidel Thalji Aldalabeh

ABSTRACT

This research aims to re-read a book to read Sibawayh contemporary originality of thinking that combines the Arabic language as exemplified when Sibawayh, and modern and contemporary linguistic thinking is also to clarify the image of scientific objectivity, from which the Sibawayh in the origination of a number of concepts including: the use of penalties as a method to document the language Witness with respect to the contemporary poetry, with respect and constantly, As well as between the grammar rules in accordance with the principles of linguistics known Sibawayh before scientists know narrators in contemporary linguistic lesson. The research presented to study the following matters: weighting based on lightness and intensity of mastery, and weighting based on proximity and distance, and weighting based on the power of speech, health, and weighting based on the percentage of flowers in the words of the Arab.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين،والصلاة والسلام على أفضل المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ فإنه لا يستطيع أحد أن ينكر ما لكتاب سيبويه من أهمية كبيرة في النحو العربي،إذ إنَّ هذا الكتاب قد حاز على أهمية كبيرة منذ ظهوره،فقد كان يُقال لمن يقرأ كتاب سيبويه هل ركبت البحر دلالة على عظم الإقدام على مثل هذا الأمر لصعوبة فهم كتاب سيبويه؛ولهذا نجد كثيراً من الشروح لهذا الكتاب الذي له عظيم الأثر في كثير من المؤلفات النحوية.

والمتتبع لكتاب سيبويه يجد الدقة الكبيرة في تناول سيبويه لآرائه إذ إنَّه لا يذكر رأياً إلا بعد تمحيصه؛من أجل إثباته أو نقضه عن طريق الاستشهاد بآراء غيره من العلماء الذين سبقوه،أو بما قالته العرب.

وقد كان لسيبويه كغيره من العلماء اهتمام كبير بالرواية إذ كانوا يعتمدون الشعر الذي"ثبت عندهم صحة نسبته إلى قائله،وفصاحة قائله،وصدق راويه،والوثوق فيه،وخلوه من الضرورات،وليس أدل على ذلك من اعتنائهم بالرواية وأنواعها وطرقها وبصفات الراوي وما يجب من الأمانة والصدق ونحوها من الصفات"[1]

ولا أظن أنَّ أحد الباحثين قد غالى في ترجيحه عند قوله:"إنَّ سيبويه كان لا يترك شاهداً سمعه من شاعر أو راوٍ أو من عالم أو من طالب علم دون أن يعرض ذلك الشاهد على من يثق به من العلماء،وبخاصة شيخيه الخليل ويونس.فعدد كبير من الشواهد التي لا ينص سيبويه صراحة على سماعه لها من العرب،أو من أحد علمائه،نجده يعرضها من خلال رأي لأحد العلماء بصورة تدل دلالة قاطعة على أنَّ هذا العالم أو ذاك كان على معرفة بتلك الشواهد،ورواياتها،وما يدور حولها من مشكلات لغوية"[2].

لقد سار سيبويه في جمعه للشواهد النحوية الواردة في كتابه في السُبل الآتية:

١ - ما سمعه من شيوخه الذين أورد آراءهم في كتابه كقوله:"وزعم عيسى أنَّ بعض العرب ينشد هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي"[3]."وزعم أبو الخطاب أنَّه سمع قوماً من العرب ينشدون هذا البيت للحارث ابن ظالم"[4]."وزعم عيسى أنَّهم ينشدون هذا البيت" [5]."وزعم يونس أنَّه سمع رؤبة يقول"[6])."وزعم أبو الخطاب أنَّه سمع هذا البيت من أهله هكذا" [7]" وزعم يونس أنَّه سمع الفرزدق ينشد [8]."ويقوّي ذلك أنَّ يونس وعيسى جميعا زعما أنَّ رؤبة كان ينشد هذا البيت نصباً"[9]

2- ما سمعه أحد شيوخه ممن يثق به من العرب كقوله:"والحجة على أنَّ هذا في موضع رفع أنَّ أبا الخطاب حدَّثنا أنَّه سمع من العرب الموثوق بهم من ينشد هذا البيت رفعاً للكناني"[10]

3- ما سمعه هو نفسه عن العرب كقوله:"وقال الفرزدق"[11]."وقال المتلمّس"[12] "وقال حنظلة بن فاتك"[13]

4- نسبة سيبويه لبعض الأبيات من دون الإشارة إلى اسم قائلها كقوله:"وأنشدناه هكذا أعرابي من أفصح الناس،وزعم ،أنَّه شعر أبيه" [14]."وسمعنا عربياً موثوقاً بعربيته يقول" [15]. "وقال الشاعر"[16]."وقد يقول بعض العرب"[17]."وقال رجل من باهلة"[18].

وإن أقررنا بعدم اهتمام سيبويه بنسبة بعض الشواهد فإنَّ هذا ربما يعود إلى أنَّه"كان واثقاً من صدق الذين أخذها عنهم،وكان واثقاً أيضا من دقتهم وتثبتهم.ولعله وثَّق شواهده بنفسه.فتحرَّى عنها،وتتبع أصحابها ونقلتها،ووثق بصحتها،وبالذين رووها.ثم استخدمها في كتابه فيما بعد مطمئناً إليها.ولذلك لم يعطِ نسبة الشواهد اهتماماً كبيراً"[19]

وإنَّ عدم نسبة الشواهد إلى قائليها"طريقة سار عليها النحاة على اختلاف مذاهبهم النحوية وأماكنهم وأزمنتهم،فليس غريباً أن نجد كثيراً من الشواهد التي يتداولها النحاة في كتبهم ويستشهدون بها دون أن يعرف من قالها ولمن هي.والظاهر أنّ الذي جر النحاة إلى هذا الأمر،هو أنَّ البيت الشاهد قد يروى لشاعرين أو أكثر،أو كان مما اختلف الرواة في قائله،أو كان مجهولاً قائله"[20]

"وقد جرى عرف النحاة على قبول الاستشهاد بالشاهد غير المنسوب إذا كان راويه ثقة،أو كان المستشهد به من النحاة المشتهرين بالصدق،ولهذا كان سيبويه وغيره من النحاة يستشهدون بهذا النوع من الشعر معتمدين على سماعه من العرب الموثوق بعربيتهم [21]"وإنَّ ما يسم ع من العربي القح لا يتوقف الاستشهاد به على معرفة اسم قائله"[22].

ومن الممكن أن يكون سيبويه قد نسب جميع الشواهد الشعرية إلى قائليها"إلا أنَّ المملى عليه أو الناسخ لم يكتبه لعلمه به،أو اختصاراً للوقت،أو تخفيفاً للمشقة،أو طلباً للسرعة في تدوين ما يُملى عليه"[23]

ولكن_كما يبدو لي_لا يمكن لنا الأخذ بالرأي السابق إلا إذا عرفنا النهج الذي اتَّبعه سيبويه في تأليف كتابه.

وقد رأى بعض العلماء أنَّ سيبويه كان معتمداً على شيوخه في نسبة الشواهد الشعرية الواردة في كتابه [24] وقد قال الجرمي:"نظرت في كتاب سيبويه فإذا فيه ألف وخمسون بيتاً.فأمَّا الألف فقد عرفت أسماء قائليها،فأثبتها.وأمَّا الخمسون فلم أعرف أسماء قائليها"[25]

وإننا لا نستطيع أن نقطع بأنَّ العلماء الذين جاؤو ا بعد سيبويه هم الذين نسبوا الشواهد الشعرية إلى أصحابها؛إذ إنَّ ذلك يحتاج منَّا إلى الاطلاع على النسخة التي تركها سيبويه وهذا أمر من الصعب تحقيقه.وقد وردت عبارات في الكتاب تدل على نسبة سيبويه للشواهد الشعرية مثل قوله"قال الفرزدق""قول المتلمس"وغيرها كثير مما ورد في الكتاب.

"فقد عدت شواهد سيبويه قديماً كما تعتبر حديثاً أصح الشواهد ولا التفات لما يقوله الحاسدون أو المبغضون فيها،ويكفي أن يُقال في البيت الشعري قديماً أو حديثاً أنَّه من شواهد الكتاب،أو من شواهد سيبويه ليعتبر ثقة ويؤخذ به في مختلف علوم العربية لا في النحو واللغة وحدهما،وذلك لثقتهم بسيبويه وتأكدهم من صدقه وأمانته وعدالته"[26]

"وقد خرج كتاب سيبويه إلى الناس والعلماء كثير والعناية بالعلم وتهذيبه وكيدة،ونظر فيه وفتش فما طعن أحد من المتقدمين عليه،ولا ادَّعى بأنه أتى بشعر منكر "[27] وإنَّ قال قائل بورود أبيات شعرية مصنوعة في كتاب سيبويه نقول له:إنَّ سيبويه المتحري الدقة والضبط في استخدام شواهده الشعرية لا يمكن له أن يورد في كتابه أبياتاً من وضعه وينسبها لما قالته العرب،إذ إنَّ الأبيات المصنوعة هي ما"يضعها صاحبها وينشدها على أنَّها مما قاله العرب الفصحاء" [28] وإنَّ ما قيل عن ورود أبيات شعرية مصنوعة في كتاب سيبويه ما هو إلا من باب الطعن في الكتاب وصاحبه.

وإنني أزعم فيما يتعلق بالأبيات الخمسين مجهولة القائل بأنها لا تدو ر في فلك الحقيقة؛إذ إنَّ البصريين"يمقتون الشواهد المجهولة لضررها على اللغة وإساءتها إلى علم النحو بالهبوط به إلى مستوى واطئ،لهذا كانوا كثيرا ما يردون على الكوفيين قواعدهم ووجهة نظرهم في المسائل المختلف فيها مع البصريين"[29]الذين يتمثلون بشيخهم سيبويه.

وأكاد أقول:إنَّ سيبويه قد ترك لنا نسخة من كتابه نسب فيها كل الشواهد الشعرية إلى قائليها؛إذ إنهَّ"حكي أنَّ أبا العبَّاس كان لا يكاد يقرئ أحداً كتاب سيبويه حتى يقرأه على أبي إسحاق،لصحة نسخته،ولذكر أسماء الشعراء فيها"[30]

فنسخة أبي إسحاق لو وقعت بين أيدينا لكان فيها دلالة قاطعة على أنَّ سيبويه قد نسب جميع الشواهد الشعرية الواردة في كتابه إلى قائليها،ولكن–في أغلب ظنِّي–أنَّ النسخة الأصلية من كتاب سيبويه لم ترَ النور بعدُ،وربما تكون النسخة التي كانت بين يدي أبي إسحاق الزجاج كما ظهر لنا في الفقرة السابقة.

بقي أن نقول"إنَّ الشواهد تراث النحويين جميعاً تعاونوا على جمع ها،فساهم كل منهم باستخراج قسم منها من مصادرها الرئيس ة كالقران الكريم،وكلام فصحاء العرب،حتى تجمعت كتجمع السيول في الجداول وانصبابها في الروافد ثم في الأنهار،فنمت وتكاثرت مع نمو النحو وتطوره وتوسع أبوابه"[31]

ولا مجال للشك بأنَّ سيبويه قد بذل جهداً كبيراً في انتقاء شواهده من بين هذا الكبير الهائل من الشواهد ضمن أسس محددة 0وإنَّ القواعد التي أودعها في كتابه،والتي استشهد على إثبات صحتها بالأبيات الشعرية،أو بالآيات القرآنية، أو بما قالته العرب،أو بآراء العلماء الذين ورد ذكرهم في الكتاب لم تأتِ على درجة واحدة،بل رجَّح بينها 0وهذا ما سيتضح لنا في الصفحات الآتية إن شاء الله تعالى.

لقد استعمل سيبويه مصطلحات تدل على ترجيحه لقاعد ة على أخرى،ومن هذه المصطلحات:(أحمل، أثقل، أقوى، أجمل)،وغيرها مما سنلاحظه في النصوص التي سيتم عرضها،والتي جاءت على النحو الآتي:–

(1) الترجيح القائم على الخفةّ، وشدةّ التمكن :

١ -أحمل :

يبيِّن سيبويه أنَّ كل مذكر يتكوَّن اسمه من ثلاثة أحرف ليس فيها حرف تأنيث يكون مصروفاً ًيلحقه تنوين الضم،وتنوين الفتح،وتنوين الكسر،سواء أكان هذا الاسم أعجمياً،أم عربياً،أم مؤنثاً،ماعدا الاسم الذي يأتي على وزن(فُعَلَ) المشتق من الفعل.

وإنَّ علة صرف الاسم المذكر الثلاثي أنَّه جاء أشد تمكناً من غيره مما جعله مرجَّحاً على غيره من الأسماء في تحمّله للتنوين؛ لكونه أقل الأبنية حروفاً.

يقول سيبويه:" كل مذكّر سمّي بثلاثة أحرف ليس فيه حرف التأنيث فهو مصروف كائناً ما كان، أعجمياً، أو عربياً، أو مؤنثاً، إلا فُعَلَ مشتقاً من الفعل، ... وذلك أنَّ المذكّر أشدّ تمكنّاً، فلذلك كان أحْملَ للتنوين، فاحتمل ذلك فيما كان على ثلاثة أحرف، لأنَّه ليس شيء من الأبنية أقلّ حروفاً منه، فاحتمل التنوين،لخفّته ولتمكنه في الكلام".[32]

٢ -أجلد:

يوضِّح سيبويه .في باب ما كانت الواو فيه أولاً وكانت فاءً وذلك كقولنا: (وَعَدَ) وَ (وَجِل) – أنَّ هذه الواو إذا جاءت مضمومة فلنا الخيار في أن نتركها على حالها،أو أن نبدل مكانها همزة، كما هو القول في وُلِدَ أُلد0

وقد كره العرب الواو المضمومة؛لثقلها في النطق، كما كرهوا أيضاً اجتماع الواوين في الكلمة الواحدة ولكي يتخلصوا من هذا الثقل، قاموا بهمز الواو كما في كلمة (قَؤُول) وفي مقابل هذا نجد قوماً من العرب لا يهمزون ويتركون الكلمة على حالها كقولهم: قَوُول.

وإنَّ علة إبدال العرب للهمزة مكان الواو؛التخلص من الثقل عند نطق الواو مضمومة. وقد ذكر سيبويه أنَّ إبدال الواو في الكلمات المذكورة سابقاً ضعيف؛لكونها ُتبدل وتُ ُحذف؛ فلهذا السبب وضع العرب مكانها حرفاً أجلد منها وهو الهمزة لأنَّها لا تُحذف 0

يقول سيبويه:"هذا باب ما كانت الواو فيه أوّلاً وكانت فاءً، وذلك نحو : وَعَدَ يَعِدُ، ووَجِل يَوْجَلُ ... واعلم أنَّ هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار إن شئت تركتها على حالها، وإن

شئت أبدلت الهمزة مكانها، وذلك نحو قولهم في وُلِدَ أُلِدُ، وفي وُ جوهٍ : أُجُوهٌ. وإنَّما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضمةٌ كما يكرهون الواوين فيهمزون نحو قَوُولٍ ومَوُونة. أمَّا الذين لم يهمزوا فإنَّهم تركوا الحرف على أصله، كما يقولون : قَوُول فلا يهمزون. ومع ذلك أنَّ هذه الواو ضعيفة تحذف وتبدل، فأرادوا أن يضعوا مكانها حرفا أجلد منها".[33]

٣ -أخف:

وقد قال العرب في: " شَحِحْتَ كما قالوا في بَخِلْتَ " ، ولم يقولوا: شَحُحْتَ وَبخُلْتَ؛لأنَّ نُطق هذه الكلمات وهي مكسورةٌ أخف على اللسان من نطقها وهي مضمومة، ولو لم يكن الأمر كذلك ما رأينا الأفعال التي على وزن(فَعِلَ) أكثر من التي على وزن (فَعُل). فلعلة الخفة رجَّ ح سيبويه الكسر على الضم،مستعملاً كلمة "أخف".

قال سيبويه:" وقالوا : شَحِحْتَ كما قالوا : بَخِلْتَ؛ وذلك لأنَّ الكسرة (أخف) عليهم من الضمّة، ألا ترى أنَّ فَعِلَ أكثر في الكلام من فَعُلَ". [34]

٤ - أثقل:

ُيلاحظ في النص السابق أنَّ سيبويه استعمل كلمة(أخف)،وفي مقابل ذلك فإنَّنا نجده في بعض النصوص يستعمل كلمة " أثقل"،وذلك عندما رجَّح أنَّ الأفعال أثقل من الأسماء؛وعلة ذلك أنَّ الأسماء هي الأصل،وأنَّها أشدّ تمكناً من الأفعال،وهذا ما يراه في قوله الآتي:- " واعلم أنَّ بعض الكلام أثقل من بعض، فالأفعال أثقل من الأسماء لأنَّ الأسماء هي الأُولى،وهي أشدّ تمكّنا، فمن ثَمَّ لم يلحقها تنوين ولحقها الجزم والسكون وإنَّما هي من الأسماء". [35]

وقد كانت هناك وقفة لبعض العلماء عند ثقل الأفعال وخفـّة الأسماء ومن هؤلاء: الكسائي(ت 189هـ) والفرّاء (ت207هـ)، وهشام الضرير(ت 209هـ) الذين قالوا: "الاسم أخف من الفعل؛لأنَّ الاسم يستتر في الفعل، والفعل لا يستتر في الاسم".[36]

وكان ثعلب(ت 291هـ) يقول : الأسماء أخف من الأفعال؛لأنَّ الأسماء جوامد لا تتصرف والأفعال تتصرف فهي(أثقل) منها"[37]

وقال آخرون: " إنَّما خف الاسم،لأنَّه لا يدل إلاّ على المسمّى الذي تحته. وثَقُل الفعل؛لدلالته على الفاعل، والمفعول، والمفعولين والثلاثة، والمصدر، والظرفين من الزمان والمكان، والحال، وما أشبه ذلك" [38]

وقال الفرّاء :" إنَّ الأسماء أخف من الأفعال، وإنَّ الأفعال أثقل من الأسماء،وإنَّه إنَّ ما جُزمت الأفعال؛ لثقلها، فخففت بالجزم لأنَّ هـ حذفٌ. وإنَّ الأسماء كانت أحمل للخفض؛ لخفتها ليعتدل الكلام بتخفيف الثقيل وإلزام بعض الثقيل للخفيف".[39]

" وإنَّ الفعل أثقل من الاسم؛ لكينونته بعده، والأول أخف". [40] و"الأسماء هي الأولى للأفعال لأنَّها مأخوذة من نوع منها وهو المصدر".[41]

ويقول الدكتور عبده الراجحي : " هذا أيضاً من موضوع الأصلية والفرعية الاسم عندهم أصل والفعل فرع عليه ، والفعل مشتق من الاسم، والفعل لا يستغني عن الاسم، والاسم يستغني عن الفعل، فأنت تستطيع أن تقول:(زيدٌ رجل) بدون (فعلٍ)،ولكنك لا تستطيع أن تقول:(كتب) (ضَرَبَ) بدون اسم.ولذلك كان الاسم عندهم أقوى من الفعل"[42] وإنَّ الحديث عن الخفة والثقل "ينطلق خلال قضية أساسية عند القدماء من العلماء العرب هي الأصلية والفرعية".[43]

وربما يأتي افتراض النحاة العرب أصليّة الاسم وفرعيّة الفعل من كون المُحْدِث أصلاً، والحدث فرعاً؛ أي أنَّه لولا المُحْدِث الذي ينبغي أن يكون اسماً، ما كان الحدث وهو فعل ليكون 0 وهو تصور سليم افتراضاً 0 وهنا ينبغي أن نتنبَّه على خطورة ما يقول به المستشرقون من أنَّ العقليَّة العربية بشكل خاص،والعقليَّة الساميَّة بشكل عام تقلل من أهميّة الفعل[44]0 إنَّ تصور وجود المُحْدِث أولاً، ثم تصور ما يحدث عنه من أفعال ثانياً، تصور علمي سليم 0 واللغة تصوِّر هذا بجلاء؛ لأنَّ اللغة تنقل إلينا ما هو واقع وتعبِّر عنه0

(2) الترجيح القائم على الأقرب والأبعد:

إنَّ من الترجيح القائم على التقارب ترجيح سيبويه النصب على الرفع عند الإجابة عما يأتي: وهو ماذا رأيتَ ؟ وكيف أصبحتَ؟ ومَنْ رأيتَ؟ يرى سيبويه أنَّ هـ من الجائز أن يقول المخاطب في الإجابة عن السؤال الأول: خيرٌ، وذلك إذا جعل (ما وذا) اسماً واحداً، وفي هذه

الحالة كأنه يقول " ما رأيتُ خيرٌ ، ويكون في هذا القول لم يُجب المتكلم على رأيْتَ. وإنه من الجائز أن يقول المخاطب في الإج ــابة عن الـسؤال الثاني: (صالحٌ)،وفي الإجابة عن مَنْ رأيتَ:(زيدٌ) ففي هذه الحالة كأنَّ المخاطب قال: (أنا صالح ومَنْ رأيتُ زيدٌ) ولكنَّ سيبويه يرجِّح النصب على الرفع حيث يرى أن تقول في الإجابة عن الأسئلة السابقة:خيراً، وصالحاً، وزيداً، وعلة ذلك؛ أنَّه جواب عن كلام المخاطب،ومن الأقرب أن نأخذ به.

يقول سيبويه:" وقد يجوز أن يقول الرجلُ: ماذا رأيتَ ؟ فيقول: خيرٌ، إذا جعل (ما)و(ذا) اسماً واحداً كأنَّه قال: ما رأيتُ خيرٌ، ولم يُجبْهُ على(رَأَيْتَ).

ومثل ذلك قولهم في جواب(كيف أصبحتَ ؟) فيقول: صالحٌ، وفي مَنْ رأيتَ ؟ فيقول: زيدٌ، كأنَّه قال: أنا صالحٌ ومن رأيتُ زيدٌ. والنصبُ في هذا الوجهُ،لأنَّه الجواب،على كلام المخاطَب، وهو أقربُ إلى أن تأخذ به".[45]

ويستعمل سيبويه في الترجيح القائم على التقارب لفظة(أولى)،إذ يذكر في باب إعمال أحد الفعلين – أنَّه يَقبح قول العرب (مررت ومَرَّ بي بزيدٍ)؛لأنَّهم قد أعملوا الفعل الثاني وهو مرَّ الذي رأوا أنَّه(أولى) بالعمل في الاسم من الفعل الأول (مررت) وأولويته في هذا جاءت من باب قرُب الفعل الثاني من الاسم،وبُعد الفعل الأول،ولكنَّ سيبويه يرجِّح إعمال الفعل الأول0

قال سيبويه: " ولو أعملت الأول لقلت: مررتُ ومَرَّ بي بزيدٍ. وإنما قبُح هذا أنَّهم قد جعلوا الأقرب أولى إذا لم يَنْقُضْ معنًى. قال الشاعر، وهو الفرزدق:"[46]

ولكنَّ نصفاً لو سببتُ وسبّني بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ من مَنافٍ وهاشِمِ"

فالفعل الأول في كلِّ هذا مُعْمَلٌ في المعنى وغَيْرُ مُعْمَلٍ في اللفظ، والآخِرُ مُعْمَلٌ في اللفظ والمعنى".[47]

وقد أورد سيبويه كلمتي (أولى) و (أقرب) معاً؛ وذلك عندما كان يتحدّث عن عدم استحسانه الرفع لكلمة (إصبع) في قولنا: (ادْفَع ولو إصبعاً)،إذ جاءت منصوبة على تقدير (ولو كان إصبعاً) ولا يحسن أن نحملها على ما يَرْفع، وعلة ذلك أنَّ نا إذا لم نرد أن نحملها على

إضمار (كان) فإنَّ فعل المخاطب المذكور في الجملة أولى وأقرب والرفع بعيدٌ حيث تكون الجملة " ولو يكون مما تدفع به إصبعٌ "0

يقول سيبويه: " ومن ذلك قول العرب: ادْفع الشر ولو إصْبَعاً ، كأنَّه قال : ولو دفعته إصبعاً، ولو كان إصبعاً. ولا يحسن أن تحمله على ما يَرْفعُ؛ لأنَّك إن لم تحمله على إضمار يكون ففعل المخاطب المذكور أولى وأقرب، فالرفع في هذا ... بعيد، كأنَّه يقول: ... ولو يكون مما تدْفع به إصبعٌ ".[48]

ويمكن أن نَعُدَّ مسألة القرب والبعد مسألة نسبيّة، وهي قضية مهمة في بناء تصور علمي للغة0 وهذا هو الذي فعله سيبويه والنحاة العرب من بعده،ولا شك في أنَّهم أصابوا قسطاً كبيراً من الحقيقة في هذا التصور وفي التطبيق الذي بني عليه0

(3) الترجيح القائم على قوة الكلام وصحته:

يوضِّح سيبويه أنَّ ثَمَّة كلمات تأتي على وزن(أفعل) مثل: (أجدلٌ، وأخيْلٌ وأفْعَ ى) جعلها بعض العرب صفة؛ وعلة ذلك إنَّ الجَدْل عندهم شدة الخُلق؛ فلهذا صار(أجدل) عندهم صفة بمنزلة شديد. وأمَّا أخيلٌ فجعلوه صفة حيث أُخذ من الخِيلان؛ للونه "والخِيلان: جمع خال".[49]

وأفعَى كأنَّه صار عند العرب صفة؛ وذلك كما يرى السيرافي " أنَّه جُعل بمنزلة خبيث أو ضارّ أو ما أشبه ذلك، مما يليق أن يكون صفة له".[50]

ولكنَّ سيبويه يرجِّح أن تكون هذه أسماء أجود من أن تكون صفات. إذ قال في باب ما كان من(أفعل) صفة في بعض اللغات واسماً في أكثر الكلام :" وذلك أجْدَلٌ وأخْيَلٌ وأفْعَى. فأجود ذلك أن يكون هذا النَّحو اسماً، وقد جعله بعضهم صفة؛ وذلك لأنَّ الجدْل شدة الخَلْق، فصار أجْدَلٌ عندهم بمنزلة شديد.

وأمَّا(أخْيَلٌ) فجعلوه أفعل من الخيلان للونه،وهو طائر أخضرُ،وعلى جناحه لُمْعةٌ سوداء مخالفة للونه.

وعلى هذا المثال جاء(أفْعَى)، كأنَّه صار عندهم صفة، وإن لم يكن له فعلٌ ولا مصدر ".[51]

وقد يستعمل سيبويه كلمة(الأجود) كما فعل عندما بيَّن أنَّ كل ما يُجمع بغير الواو والنون كلفظة (حَسَن) و(حِسان) فإنّ الأجود فيه أن نقول مررت برجلٍ حِسانٍ قومُه. وما كانُ يجمع بالواو والنون فإنَّ الأجود فيه أن نقول: مررت برجلٍ منطلقٍ قومُه.

فقد قال سيبويه: " واعلم أنَّ ما كان يُجمع بغير الواو والنون نحو حَسَنٍ وحِسانٍ،فإنَّ الأجود فيه أن تقول:مررت برجلٍ حِسانٍ قومُه. وما كان يُجْمع بالواو والنون نحو مُنْطِلقٍ ومنطلقين، فإنَّ الأجود فيه أن يُجْعل بمنزلة الفعل المتقدِّم فتقول: مررت برجلٍ منطَلِقٍ قومُه".[52]

وأحياناً نجد سيبويه في بعض النصوص يقول: " أجود وأكثر وأقيس" ، وأجود وأكثر" وأحسن وأجود".[53]

ويرجِّح سيبويه وجهاً إعرابياً على آخر بناء على ما يتطلبه المعنى كما في التركيب الآتي|: " ما زيدٌ كعمروٍ ولا شَبيهاً به ، وما عمروٌ كخالدٍ ولا مُفْلِحاً" فقد جاء ترجيحه للنصب الذي وصفه بالجيد من باب أنَّ المعنى المراد من الكلام هو " ما هو مثل فلانٍ ولا مفلحاً ".

يقول سيبويه: " وتقول : ما زيدٌ كعمروٍ ولا شبيهاً به، وما عمروٌ كخالدٍ ولا مُفلِحاً، النصب في هذا جيد ، لأنَّك إنَّما تريد ما هو مثلَ فلان ولا مُفلحاً .هذا وجه الكلام".[54]

وإنَّ من المصطلحات التي يلجأ إليها سيبويه في الترجيح كلمة "أحسن" التي أوردها عندما رجَّح ما ورد في اللغة الحجازيَّة على ما ورد في اللغة التميميَّة فيما يتعلق بالقول الآتي:" وما كلُّ مَن وافى منى أنا عارف" ،لأنَّ الحجازيين يُعملون (ما) عمل ليس " أمَّا التميميون فإنَّهم لا يُعملونها ويكون ما بعدها مرفوعاً على أنَّه مبتدأ.

يقول سيبويه:" وقال مُزاحم العُقَيْلي: [55]

وقالوا تَعَرَّفها المنازل من مِنىً وما كلُّ مَنْ وافى مِنىً أنا عارفُ

وقال بعضهم:

" وما كلُّ مَنْ وافى مِنىً أنا عارفُ ".

لزم اللغة الحجازية فرفعَ،كأنَّه قال:ليس عبدُالله أنا عارفٌ، فأضمر الهاء في عارفٍ. وكان الوجهُ عارفهُ حيث لم يُعْمَلْ عارف في كلٍّ،وكان هذا أحسنَ من التقديم والتأخير؛لأنَّهم قد يَدَعُون هذه الهاء في كلامهم وفي الشعر كثيراً".(56)

يُلاحظ في البيت السابق أنَّه جاء على روايتين الأولى على اللغة التميمية حيث جاءت كلمة (كل) منصوبة على اعتبار أنَّها مفعول به (لعارف) وإلغاء عمل ما. وفي اللغة الحجازية رفع (كل) على أنَّها اسم "ما" العاملة عمل ليس وتكون جملة " أنا عارف" خبراً لما، وهذا ما يراه سيبويه أحسن مما ورد في اللغة التميمية؛ وعلة ذلك عدم وجود التقديم والتأخير الوارد في اللغة التميمية.

وإنَّ استحسان سيبويه للتقديم والتأخير راجعٌ "إلى محاولة الربط بين إعمال الكلمات،والنظام الذي تسير عليه اللغة، وحالة المخاطب ومقتضى الحال؛ليكون المتكلم بعيداً عن التعقيد والمجازفة." (57)

واستعمل سيبويه كلمة (يَحسن) عندما وضَّح أنَّه يحسن ابتداء الاسم بعد إذ، ولا يستحسن سيبويه أن يتبع الاسم فعل على وزن (فَعَلَ) كقولنا: " جئت إذ عبد الله قام".

وقد حَسُنَ الرفع في الاسم الواقع بعد إذ كونها تقع في جملة مثبتة، ولأنَّ نا نبتدئ الاسم بعدها.

فقد قال سيبويه:" وأمَّا (إذ) فيحسن ابتداء الاسم بعدها. تقول : جئت إذ عبدالله قائمٌ وجئت إذ عبدالله يقوم،إلا أنَّها في(فَعَلَ) قبيحة، نحو قولك " جئت إذ عبدالله قام. ولكنَّ(إذْ) إنَّما يقع في الكلام الواجب، فاجتمع فيها هذا وإنّك تبتدئ الاسم بعدها فحسن الرفع".(58)

ويرجِّح سيبويه وفقاً لدرجة الوضوح التي يؤديها استعمال دون آخر، حيث قال :" وإذا ألغيت فقلت: عبدُ الله أظنُّ منطلق، فهذا أجمل من قولك: أظنّه. وأظنُّ بغير(هاء) أحسن لئلا يلتبس بالاسم، وليكون أبين في أنَّه ليس يَعْملُ".(59)

ويرى سيبويه أنَّ التأخير للأفعال التي تأخذ مفعولين أقوى للإلغاء من توسطها، إذ رجَّح التأخير على التوسط باستعمال كلمة أقوى في قوله التالي: " فإن ألغيت قلت: عبدالله أظنُّ ذاهبٌ، وهذا إخالُ أخوك، وفيها أرى أبوك وكلما أردت الإلغاء فالتأخير (أقوى)".[60]

وقد يستعمل سيبويه ألفاظاً أخرى عند الترجيح من باب القوة والضعف مثل: " وليس هذا بكثير ولا قوي"[61] ، و" أقوى وأكثر"[62] و" وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة" [63] و" أضعف"[64] و" أقوى وأبين "[65] .

وإنَّ ما يمكن أن نضعه في باب الترجيح القائم على الوضوح والبيان ما بيَّ نه سيبويه عند النسبة إلى المضاف من الأسماء وذلك نحو "ابْنِ الزُّبَيْر " نقول: الزُّبيريُّ

حيث جعلنا ياءي النسبة في كلمة الزبير ؛وعلة ذلك أنَّه قد صارت به كلمة (ابن) معرفة؛ فلهذا هو أشهر وأبين 0

يقول سيبويه: "فأمَّا ما يُحذف منه الأوّل، فهو: ابْن كُراعَ، وابن الزُّبَيْرِ، تقول: زُبَيْرِيٌّ، وكُراعِيٌّ، تجعل ياءي الإضافة في الاسم الذي صار به الأول معرفة. فهو أبينُ وأشهرُ إذ كان به صار معرفة".[66]

وفي ظلِّ الترجيح القائم على ا لوضوح نجد سيبويه يعلل وضع الهاء بدلاً من الياء في كلمة(هذِه) قائلاً:"ونحو ما ذكرنا قول بني تميم في الوقف:هذِهْ؛فإذا وصلوا قالوا:هذِي فلانةُ؛لأنَّ الياء خفيَّة فإذا سكتَّ عندها كان أخْفَى. والكسرةُ مع الياء أخفى فإذا خَفيت الكسرةُ ازدادت الياء خفاءً كما ازدادت الكسرة؛ فأبدلوا مكانها حرفاً من موضع أكثرِ الحروف بها مشابهةً ، وتكون الكسرة معه أبينَ".[67]

ويوضِّح سيبويه أنَّ الكاف في النص الآتي "هم الضاربوك" تكون في موضع جر؛لأنَّنا إذا حذفنا النون مع هذا الاسم في المظهر كقولنا:(ضاربو زيدٍ) يكون(زيد) في موضع جر،ولا تكون الكاف في قولنا : هم ضاربوك في محل نصب. وهذا ما لا يرجِّحه سيبويه،بل يرجِّح أن تكون الكاف في محل جر. وهذا هو الوجه كما يرى سيبويه.

قال : " وإذا قلت: (هم الضاربوك) و(هما الضارباك)، فالوجه فيه الجر؛لأنَّك إذا كففت النون من هذه الأسماء في المظهر كان الوجه الجر ... ولا يكون في قولهم: (هم ضاربوك)،أن تكون الكاف في موضع النصب،لأنَّك لو كففت النون في الإظهار لم يكن إلا جرّاً. ولا يجوز في الإظهار:(هم ضاربو زيداً)؛لأنَّها ليست في معنى الذي،لأنَّها ليست فيها الألف واللام كما كانت في الذي".[68]

فضلاً عن كلمة (الوجه) فإنَّ سيبويه يورد عبارات في بعض النصوص مثل:" فإنَّ القياس والوجه"[69] و"هذا وجه الكلام"[70] ويستخدم سيبويه أيضاً كلمة(أقيس)

كما فعل عندما رجَّح قول التميميين على قول الحجازيين بقوله " اعلم أنَّ أهل الحجاز يقولون إذا قال الرجلُ رأيتُ زيداً: مَنْ زيداً ؟ وإذا قال مررت بزيدٍ قالوا: مَنْ زيدٍ؟ وإذا قال: هذا عبدُ الله قالوا:مَنْ عبدُ الله؟

وأمَّا بنو تميم فيرفعون على كل حال. وهو أقيس القولين.

فأمَّا أهل الحجاز فإنَّهم حملوا قولهم على أنَّهم حكوا ما تكلّم به المسؤول، كما قال بعض العرب:(دعنا من تمْرتان)، على الحكاية لقوله: (ما عنده تمرتان). وسمعت عربيّاً يقول لرجل سأله فقال:(أليْسَ قرشيّاً؟) فقال (ليس بقرشيّاً)،حكاية لقوله.فجاز هذا في الاسم الذي يكون علماً غالباً على ذا الوجه، ولا يجوز في غير الاسم الغالب كما جاز فيه، وذلك أنَّه الأكثر في كلامهم، وهو العلم الأول الذي به يتعارفون".[71]

ويورد سيبويه رأي أستاذه الخلـيل في عـــلة إلحاق التنوين بكلمة أرضات وفي جمع كلمة(أرض) بالواو والنون إذ رجَّح الخليل الجمع بالواو والنون على الجمع بالتاء. وربما تكون كثرة ورود الجمع بالواو والنون لخفته على النطق،وثقل الجمع بالتاء.

يقول سيبويه: " وسألت الخليل عن قول العرب : أرْضٌ وأرَضَاتٌ؟ فقال: لمّا كانت مؤنَّثة وجُمعت بالتاء ثقلت كما ثقلت طَلَحاتٌ وصَفَحاتٌ. قلت: فَلِم جُمعت بالواو والنون؟ قال: شبّهت بالسِّنين ونحوها من بنات الحرفين؛ لأنَّها مؤنثة كما أنَّ سنة مؤنثة، ولأنَّ الجمع بالتاء أقلّ والجمع بالواو والنون أعمُّ".[72]

وإنَّنا نجد سيبويه في بعض الأحيان يذكر لفظتين للترجيح كما في قوله: " أسبق وأعرف " عند ترجيحه للرفع على النصب في كلمة " يَقْصِدُ "في بيت الشعر الوارد في النص الآتي " ومما جاء منقطعاً قول الشاعر ، وهو عبد الرحمن بن أُمِّ الحكم[73]

على الحكم المأْتيِّ يوماً إذا قَضَى قضيَّته أن لا يجور ويَقْصِدُ

كأنَّه قال: عليه غيرُ الجوْر ، ولكنَّه يقصدُ أو هو قاصدٌ ، فابتدأ ولم يحمل الكلام على أنْ، كما تقول: عليه أن لا يجورَ، وينبغ ي له كذا وكذا، فالابتداء في هذا أسبقُ وأعرفُ؛لأنَّ ها بمنزلة قولك، كأنَّه قال: ونَوْلُك[74] فمن ثمَّ لا يكادون يحملونها على أنْ".[75]

وقد يلجأ سيبويه في الترجيح إلى وضع درجات للاستعمال الواحد، وذلك عندما بيَّ ن أنَّ الاستعمال للنون الثقيلة أو الخفيفة يأتي للتوكيد، ولكنَّه رجَّح استعمال الثقيلة على الخفيفة ،من باب أنَّها أشد توكيداً منها0وكأنَّه يجعل ترجيحه أحياناً وفقاً لفروق دقيقة ما بين استعمال وآخر للشيء الواحد،إذ قال: " اعلم أنَّ كل شيء دخلته الخفيفة فقد تدخله الثقيلة. كما أنَّ كل شيء تدخله الثقيلة تدخله الخفيفة ... فإذا جئت بالخفيفة فأنت مؤكّد ، وإذا جئت بالثقيلة فأنت أشدُّ توكيداً[76]

ويبيِّن سيبويه أنَّه لم تكن إمالة إذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً وعلة ذلك أنَّ الفتح من الألف ، ولا تتبع الألف الواو لأنَّها لا تشبهها،وقد رجَّح الفتح على الكسر من باب اللزوم الذي . كما أرى – جاء من العودة إلى الأصل؛لكون الفتحة من الألف.

يقول سيبويه : " فإذا كان ما بعد الألف مضموماً أو مفتوحاً لم تكن فيه إمالةٌ وذلك نحو آجُرّ، وتَابَل،وخاتَم. لأنَّ الفتح من الألف، فهو ألزم لها من الكسرة. ولا تتبع الواو،لأنَّها لا تشبهها. ألا ترى أنَّك لو أردت التقريب من الواو انقلبت فلم تكن الفاً".[77]

إنَّ الترجيح القائم على صحة الكلام واستقامته دليل على أنَّ النحو العربي نحو استقرائي، كان يتمثل ما هو جارٍ على ألسنة العرب، وما هو مقبول عندهم، وما هو غير مقبول0

04الترجيح القائم على نسبة الورود في كلام العرب :

يستعمل سيبويه عند الترجيح للقاعدة النحوية التي تتوافق مع كلام العرب ألفاظاً منها[78] عربي جيد، حيث أورد هذا اللفظ عندما بيَّن أن قولنا :ضربتُ زيداً عربي جيِّد ؛ وسبب ذلك أنَّنا نريد أن نُعْمل الفعل في الاسم؛حيث جاء موقعه الإعرابي مفعولاً به.وإنَّنا إن قلنا زيداً ضربت فهو عربي جيد أيضاً وذلك أنَّ الاستعمالين سواء فيما يتعلق بالاهتمام والعناية في التقديم والتأخير.

قال سيبويه: "فإن بنيت الاسم عليه قلت:(ضربتُ زيداً) ،وهو الحدُّ؛ لأنَّك تريد أن تعمله وتحمل عليه الاسم ... وإن قدمت الاسم فهو عربيّ جيد ، كما كان ذلك عربياً جيّداً ، وذلك قولك : زيداً ضربتُ، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء مثله في ضرب زيدٌ عمراً،وضرب عمراً زيدٌ ".[79]

وقد نجد سيبويه يرجِّح حالة إعرابية على أخرى مع أن الحالتين تَردان في لغات العرب،ومثال ذلك أنَّه وضَّح أنَّ كلمة "ابن" في القول الآتي:

" إذا ابنُ أبي موسى بلالٌ بلغتِهِ"

تأتي منصوبة في كثير من لغات العرب،ولكن على الرغم من كثرة ورود هذه الكلمة منصوبة يرى سيبويه أنَّ الرفع أجود وهو " يَعني الرفع على الابتداء لا على إعمال فعل مفسر كأنَّ مذهبه جواز الرفع والنصب بعد إذا ، وإن كان فيها معنى الشرط لأنَّها غير عاملة، فيكتفي بما في جملة الابتداء من ذكر الفعل، فيستغني بذلك عن أن يليها الفعل وهذا أحد توجيهين للشنتمري(ت476هـ). وكان الأخفش يذهب إلى جواز وقوع المبتدأ بعد إذا ، وقال الزجاج : الرفع فيه بمعنى إذا بُلغ ابن أبي موسى. يعني على النيابة عن الفاعل".[80]

يقول سيبويه " ومنه قول ذي الرُّمَّة:"[81]

إذا ابْنُ أبي موسى بلالٌ بلغتِهِ فقام بفأسٍ بينَ وِصْلَيك جازرُ

فالنصب عربيٌّ كثيرٌ، والرفع أجود،لأنَّه إذا أراد الإعمال فأقرب إلى ذلك أن يقول: ضربتُ زيداً وزيداً ضربتُ، ولا يُعمِل الفعلَ في مُضمَر،ولا يتناول به هذا المتناوَلَ البعيدَ. وكلُّ هذا من كلامهم".[82]

يظهر من نص سيبويه السابق : أنَّه رأى الرفع أجود ، من باب أنَّ إعمال الفعل في مُظهر أجود من إعماله في مُضمر، وذلك أنَّ الإعمال في مضمر يؤدي إلى التأويل الذي . كما يتّضح لي . لا يُحبِّذه سيبويه. وهذا من الممكن أن نَعُدَّه مؤشراً على ما في ذهن سيبويه من رغبة في إيراد القواعد النحوية من غير تعقيد وتكلّف.

ويضيف سيبويه في بعض النصوص إلى عبارة عربي كثير جملة (في جميع لغات العرب) وكأنَّه يقول: إنَّ القاعدة النحوية التي يتحدث عنها تتوفر بكثرة في كل لغة من لغات العرب، فعلى سبيل المثال قولنا: "الليلةُ الهلالُ" يكون فيها الرفع؛وذلك على السعة والإيجاز،فقد أراد المتكلم أن يقول الليلةُ ليلةُ الهلالِ ولكنَّه اتسع وأوجز فقال:الليلةُ الهلالُ .

قال سيبويه:"كما تقول في سعة الكلام: الليلةُ الهلالُ ، وإنَّما الهلال في بعض الليلة ، وإنَّما أراد الليلةُ ليلةُ الهلالِ ، ولكنَّه اتّسع وأوجز ... والرفع في جميع هذا عربي كثير في جميع لغات العرب، على ما ذكرت لك من سعة الكلام والإيجاز".[83]

وقد يرجِّح سيبويه مستعملاً كلمتي (أقل أو أكثر) كما في النص الأتي: " واعلم أنَّ ما يُجعل بمنزلة اسم ليست فيه هاء أقلّ في كلام العرب، وترك الحرف على ما كان عليه قبل أن تحذف الهاء أكثر؛من قبل أنَّ حرف الإعراب في سائر الكلام غيره وهو على ذلك عربيٌّ. وقد حملهم ذلك أن رخَّموه حيث جعلوه بمنزلة ما لا هاءَ فيه.

قال العجَّاج[84]

فقد رأى الراؤونَ غير البُطّل أنَّك يا معاوِ يا ابنَ الأفضلِ

يريد يا معاوية ".[85]

يُلاحظ في بيت الشعر الوارد في النص السابق أنَّه أدخل ترخيماً على ترخيم في " يا معاوِ" رخم أولاً فصار يا معاوي" وثانياً فصار " يا معاوِ"[86] " "وكان وجهه لو جاء على الأصل أن يقول يا معاويَ ؛ لأنَّ أصله يا معاوية فتحذف الهاء وتدع الياء على حركتها ولكنَّ ه حذف الياء والهاء فلما حذف الياء ترك الواو مكسورة على ما كانت عليه". [87] وهذا أقل في كلام العرب كما لاحـــظ سيبويه؛ حيث قال: "وترك الحرف على ماكان عليه قبل أن تُحذف الهاء

أكثر ؛ من قِبَلِ أنَّ حرف الإعراب في سائر الكلام غيره"0والمقصود بقوله هذا هو : " أنَّ الحرف الذي قبل الهاء يكون مفتوحاً في كل موضع سوى الترخيم، لأنَّ الهاء يكون بعده،فالإعراب يقع عليها في جميع المواضع سوى الترخيم 0والضم إنَّما يدخل في النداء على الحرف الذي يقع عليه الإعراب قبل النداء، والإعراب لا يقع على ما قبل الهاء 0 وكان الأجود عنده أن يكون ما قبل الهاء على الحال التي كان عليها قبل الترخيم، كما كان على هذا الوصف في كل موضع سوى الترخيم 0ثم قال : "وهو على ذلك عربي"يعني أن يُجعل الاسم بعد حذف الهاء بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء".[88]

ثم قال سيبويه:"وقد حملهم ذلك000 فيه " يريد أنَّهم لمّا جعلوه بعد حذف الهاء بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء، رخّموه تَرخيماً آخر، كما يرخِّمون الاسم الذي لم يُحذف منه شيء".[89]

ومن المصطلحات الترجيحيَّة التي يستعملها سيبويه لبيان مقدار الورود في كلام العرب مصطلح " تُرضى عربيَّتهم" حيث قال: " وذلك قولك: هذا الضاربُ زيداً فصار في معنى هذا الذي ضرب زيداً، وعمل عمله؛لأنَّ الألف واللام منعتا الإضافة وصارتا بمنزلة التنوين وكذلك:هذا الضاربُ الرجلَ،وهو وجه الكلام0

وقد قال قوم من العرب تُرضى عربيّتُهم:هذا الضاربُ الرجلِ ،شبّهوه بالحَسنِ الوجهِ،وإن كان ليس مثلَه في المعنى،ولا في أحواله إلا أنَّه اسم،وقد يَجُرُّ كما يَجُرُّ ويَنْصب أيضاً كما يَنْصِبُ ".[90]

يتَّضح من كلام سيبويه السابق أنَّ اسم الفاعل ينصب الاسم بعده، إذ يعمل عمل الفعل0ولا يُضاف اسم الفاعل لوجود الألف واللام حيث صارتا بمنزلة التنوين وكذلك إذا دخلت الألف واللام على المضاف إليه والمضاف كقولنا:(الضاربُ الرجلَ) ولكنَّه قال : إنَّ قوماً من العرب تُرضى عربيّتهم قالوا:"هذا الضاربُ الرجلِ " حيث جاء في هذه الجملة إضافة اسم الفاعل المُعرّف بالألف واللام إلى ما فيه ألف ولام 0

ومن المعروف أنَّ النحو العربي قائم على استقراء ما هو جارٍ في ألسنة العرب وهذا أمر ضروري عند بناء القاعدة النحوية 0 ولكنَّ سيبويه لم يكتفِ بالاستقراء، حتى جعل كثرة ورود

الظاهرة على ألسنة العرب، أو قلتها وندرتها، دليلاً على ما كان يذهب إليه من أحكام عندما كان يحكم بالحسن والقبح،والكثرة والقلة0 إنَّني لا أغالي إذا قلت إنَّ الحسن والقبح في نظر سيبويه هو فرع الكثرة والقلة: كثرة ورود الظاهرة وقلتها0

وقبيل أن أصرف القلم عن الكتابة في هذا البحث نحاول أن نتعرف على أهم النتائج التي توصّل إليها وهي:1- لقد أقام سيبويه منهجاً لغوياً مبنياً على أسس علمية دقيقة تتمثل في الترجيح القائم على القرب والبعد،والترجيح القائم على الخفة وشدة التمكن،والترجيح القائم على قوة الكلام وصحته، والترجيح القائم على نسبة الورود في كلام العرب.وهذه الأسس تصلح للدرس اللغوي في أي زمان ومكان.وكان على الباحثين العرب النظر إلى مثل هذه المعايير التي استنبطها سيبويه،وأن يجعلوا منها نظرية لغوية عربية.

٢ - إنّ ما ذهب إليه سيبويه في الترجيح يتطابق مع أحدث المعايير اللسانية في المنهج الوصفي التحليلي؛لأنه في المنهج الوصفي التحليلي تعرض للباحث قضايا متضاربة،ويجد نفسه مضطراً للترجيح،ولكنه يقيم هذا الترجيح على تحليل عميق لمعطيات الظاهرة.

٣ - إنّ فهم كتاب سيبويه فهما دقيقا سيؤدي إلى الإتيان بحقائق نحوية ولغوية لها من الأهمية أكثر مما أتى به العلماء المحدثون أمثال سوسير ،وتشومسكي وغيرهم.

٤ - إنّ مسألة القرب والبعد مسألة نسبية وهي قضية مهمة في بناء تصور علمي للغة.

٥ - إنّ الترجيح القائم على صحة الكلام واستقامته دليل على أنّ النحو العربي نحو استقرائي،كان يتمثل ما هو جارٍ على ألسنة العرب،وما هو مقبول عندهم، وما هو غير مقبول.وإنّ الحسن والقبح في نظر سيبويه هو فرع الكثرة والقلة:كثرة ورود الظاهرة وقلتها.

وفي الختام أقول:لعل ما وسعنا تناوله فيه بيان للدقة التي كانت لدى سيبويه في اختيار الشواهد الشعرية،والدقة في تناول القواعد النحوية المستخرجة التي أوردها لنا في كتاب سيبقى الباحثون ينهلون من زلال مائه. فرحم الله سيبويه.والله ولي التوفيق.

هوامش البحث

(١) دراسات في كتاب سيبويه،ص 83،د.خديجة الحديثي،وكالة المطبوعات 27،شارع فهد السالم،الكويت.

(٢) شواهد الشعر في كتاب سيبويه،ص 263،د.خالد عبد الكريم جمعه،مصر،الدار الشرقية،ط2، 1409هـ-1989م.

(٣) الكتاب،سيبويه،ج 1،ص169،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة،الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م.

(٤) الكتاب،ج1،ص201.

(٥) الكتاب،ج1،ص171.

(٦) الكتاب،ج2،ص153.

(٧) الكتاب،ج3،ص123

(٨) الكتاب،ج2،ص72.

(٩) الكتاب،ج1،ص364.

(١٠) الكتاب،ج2،ص329.

(١١) الكتاب،ج1،ص39.

(١٢) الكتاب،ج1،ص38.

(١٣) الكتاب،ج1،ص30.

(١٤) الكتاب،ج3،ص300.

(١٥) الكتاب،ج3،ص98.

(١٦) الكتاب،ج1،ص50

(١٧) الكتاب،ج1،ص159

(١٨) الكتاب،ج1،ص30.

(١٩) شواهد الشعر في كتاب سيبويه،د.خالد عبد الكريم،ص180.

(٢٠) الشواهد والاستشهاد في النحو،ص123، عبد الجبار علوان، ط 1، مطبعة الزهراء- بغداد، 1396هـ-1976

(٢١) السابق،نفسه،ص124.

(٢٢) نقض كتاب في الشعر الجاهلي،ص 243،محمد الخضر حسين،ط 1،المطبعة السلفية،القاهرة،1345هـ.

(٢٣) الشواهد والاستشهاد في النحو،ص125،عبد الجبار علوان.

(٢٤) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،ج 1،ص178،عبد القادر بن عمر البغدادي،ط1،المطبعة الأميرية ببولاق،القاهرة،1030هـ-1930م.

(٢٥) السابق،،نفسه،ج1،ص8.الكتاب،ج1،ص9.

(٢٦) (4) الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه،ص 111،د.خديجة الحديثي،مطبوعات جامعة الكويت،1974م.

(٢٧) الخزانة،ج1،ص8.

(٢٨) المزهر في علوم اللغة وأنواعها،ج 1،ص177،جلال الدين السيوطي،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده،مصر،القاهرة،بدون تأريخ.

(٢٩) الشواهد والاستشهاد في النحو،ص127،عبدالجبار علوان.

(٣٠) الكتاب،ج1،ص9.

(٣١) الشواهد والاستشهاد في النحو،ص84،عبد الجبار علوان.

(٣٢) الكتاب ،ج3 ص 0221

(٣٣) الكتاب ج 4 ص 330-331، ينظر في استخدام كلمة (أجلد) ج 4 ص 334 0

(٣٤) الكتاب ، ج 4ص 37، وينظر في استخدام "أخف" ج 3 ص 278 ، ج 4 ص406 ، و ص 432.

(٣٥) الكتاب ، ج1 ص 20 .21، ينظر في استخدام أثقل ج 3 ص 194 ج 3 ص 297 ، ج 4،ص 113.

(٣٦) الإيضاح في علل النحو،الزجاجي، ص 101، تحقيق مازن المبارك ، الناشر مكتبة دار العروبة، مصر، 1959م

(٣٧) السابق ، نفسه ، ص 0101

(٣٨) السابق ، نفسه ، ص 101 0

(٣٩) الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ص 106 0

(٤٠) شرح عيون كتاب سيبويه،لأبي نصر القرطبي ، ص 19 0

(٤١) التعليقة على كتاب سيبويه ج 1 ص 43.

(٤٢) دروس في المذاهب النحوية ، ص 28 ، د. عبده الراجحي.

(٤٣) شرح جمل سيبويه ، د 0 محمود سليمان ياقوت ، ج 1 ص 16 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 1992م

(٤٤) من محاضرات الأستاذ الدكتور سمير استيتيه لطلبة الماجستير في مادة علم اللغة العام ، في قسم اللغة العربية في جامعة اليرموك، 1999م0

(٤٥) الكتاب،ج2 ص 418. 419، وينظر في استعمال أقرب ج4 ص 108، ج3 ص0193

(٤٦) ديوان الفرزدق ، ص 844 0

(٤٧) الكتاب،ج1 ص 76 . 77 0 وينظر في استخدام " أولى" ج 1 ص 127، وج2 ص244، وج3 ص 26 ، و ص 88 و ص 115) 0

(٤٨) الكتاب، ج1 ص 270 0

(٤٩) الكتاب، الحاشية،ج3 ص 201 0

(٥٠) السيرافي، الكتاب، الحاشية،ج3 ص 201 0

(٥١) الكتاب،ج3 ص200 . 201 ، وينظر في استخدام أجود ج 1 ص62، وص 170، وج4 ص107 0

(٥٢) الكتاب،ج2 ص 43 0

(٥٣) ينظر : الكتاب، ج1 ص 309 ، و ج3 ص336 .

(٥٤) الكتاب،ج1ص 69 0

(٥٥) شرح شواهد المغني 328، عن الكتاب، الحاشية، ج1 ص 72 0

(٥٦) الكتاب،ج1 ص 72 0

(٥٧) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي ، ص 43، د0 أحمد سعد محمد ، الناشر مكتبة الآداب جامعة عين شمس ، ط1، 1999م 0

(٥٨) الكتاب،ج1ص 107 .

(٥٩) الكتاب،ج 1ص 125.

(٦٠) الكتاب،ج 1ص 119، وينظر في استخدام أقوى ، ج 3 ص 284.

(٦١) الكتاب،ج 2 ص 231.

(٦٢) الكتاب،ج 3 ص 389.

(٦٣) الكتاب،ج 1 ص 144.

(٦٤) الكتاب،ج 1 ص 259 ، و ج 3 ص 180 ، و ص 356 ، و ج 4 ص 119.

(٦٥) الكتاب،ج1 ص232 ، وج4 ص 127.

(٦٦) الكتاب،ج3 ص 375.

(٦٧) الكتاب،ج 4 ص182.

(٦٨) الكتاب،ج 1 ص 187.

(٦٩) الكتاب،ج3 ص 351 .

(٧٠) الكتاب،ج3 ص 566 0

(٧١) الكتاب،ج2 ص 413، وينظر في استخدام أقيس ج3 ص232 ، وج4 ص39 0

(٧٢) الكتاب،ج 3 ص 599، وينظر في استخدام أعم،ج 4 ص 231.

(٧٣) الخزانة 3 : 0613

(٧٤) نولك أن تفعل كذا، أي ينبغي لك فعل كذا، الكتاب ، الحاشية،ج3 ص 56 0

(٧٥) الكتاب ج3ص56

(٧٦) السابق نفسه،ج 3ص508،وينظر في استعمال الأشد ج2ص143،وج3ص221،وج4ص168.

(٧٧) الكتاب، ج 4 ص 118، وينظر في استخدام الزم ج 4 ص 141.

(٧٨) ينظر في استخدام كلمة "جيد" ج 3 ص 89 ، ج 4 ص 39 وينظر في "جيد قوي" ج 3 ص 137.

(٧٩) الكتاب ، ج1 ص 80 ،ومن الأحكام التي يستخد مها (عربي حسن) ، ينظر ج 3 ص 183،

(عربي جيد كثير)، ج 1 ص 56.(جيد عربي) ج 1ص 152،(عربي كثير) ج 1 ص 148(عربي)،ج2ص71، ج3ص426 (عربي جيد)، ج1 ص104، و ص 228 (عربية جائزة) ج4 ص457 0

(٨٠) الكتاب ، الحاشية ، ج 1 ص 82.

(٨١) ديوان شعر ذي الرُّمة 253 .

(٨٢) الكتاب،ج 1ص 82 . 83.

(٨٣) الكتاب،ج 1 ص 216.

(٨٤) ديوانه 48 ، الخزانة : 1 :396 0

(٨٥) الكتاب،ج 2 ص250. 251 0

(٨٦) الكتاب، الحاشية ، ج2 ص 250 0

(٨٧) شرح أبيات سيبويه ، ص 188، تأليف أبي جعفر النحاس : تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة ، ط1 ، 1974 م 0

(٨٨) شرح أبيات سيبويه، ج 1 ص 561، السيرافي ، تحقيق محمد علي سلطاني ،مطبعة الحجاز بد مشق، 1396هـ –1976 م 0

(٨٩) السابق ، نفسه ، السيرافي ، ص 561 0

(٩٠) الكتاب ، ج1 ص181– 182 .

المصادر والمراجع

٢. الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي ، د 0 أحمد سعد محمد الناشر مكتبة الآداب جامعة عين شمس ، ط1، 1999م 0

٣. الإيضاح في علل النحو،الزجاجي، تحقيق مازن المبارك،الناشر مكتبة دار العروبة، مصر، 1959م.

٤. التعليقة على كتاب سيبويه ،تأليف أبي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي،تحقيق د.عوض بن حمد القوزي، ط1,1410 هـ - 1990م.

٥. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب،عبد القادر بن عمر البغدادي،ط 1،المطبعة الأميرية ببولاق،القاهرة،1030هـ-1930م.

٦. خزانة الأدب،بولاق،1299هـ.

٧. دراسات في كتاب سيبويه،د. خديجة الحديثي، وكالة المطبوعات 27،شارع فهد السالم،الكويت.

٨. دروس في المذاهب النحوية، د.عبده الراجحي،دار ال نهضة العربية ،بيروت،ط1 1980م.

٩. ديوان شعر ذي الرُّمة ، تحقيق محمد علي النجار،ط1،المكتبة العلمية.

١٠. ديوان العجَّاج،جمع وليم بن الورد،ليبسك،1903م.

١١. ديوان الفرزدق ، نشر الصاوى،13590هـ .

١٢. الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه،د. خديجة الحديثي،مطبوعات جامعة الكويت،1974م.

١٣. شرح أبيات سيبويه، تأليف أبي جعفر النحاس: تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة، ط1، 1974 م 0

١٤. شرح أبيات سيبويه، السيرافي، تحقيق محمد علي سلطاني،مطبعة الحجاز بد مشق، 1396هـ -1976 م 0

١٥. شرح جمل سيبويه، د 0 محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ط1، 1992م.
١٦. شرح عيون كتاب سيبويه،تأليف أبي نصر ه ارون بن موسى بن صالح بن جندل القيسي المجريطي القرطبي،تحقيق د.عبد ربه عبد اللطيف عبد ربه،الطبعة الأولى،مطبعة حسان،القاهرة1404 هـ- 1984م.
١٧. شواهد الشعر في كتاب سيبويه،د.خالد عبد الكريم جمعه،مصر،الدار الشرقية،ط 2 1409هـ-1989م.
١٨. الشواهد والاستشهاد في النحو،،عبد الجبار علوان،ط 1،مطبعة الزهراء-بغداد، 1396هـ- 1976م.
١٩. الكتاب،سيبويه ،تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون،الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة،الطبعة الثالثة 1408هـ-1988م.
٢٠. المزهر في علوم اللغة وأنواعها،جلال الدين السيوطي،مطبعة محمد علي صبيح وأولاده،مصر،القاهرة،بدون تأريخ.
٢١. نقض كتاب في الشعر الجاهلي،محمد الخضر حسين،ط 1،المطبعة السلفية،القاهرة،1345هـ.